

...«سَلَنِي عَمَّا شِئْتَ»...

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج بالناس قبل غزوة تبوك، فلما أن أصبح صلّى بالناس صلاة الصبح، ثم إن الناس ركبوا، فلما أن طلعت الشمس نعى الناس على أثر الدلجة، ولزم معاذ رسول الله ﷺ أثره والناس تفرقت بهم ركابهم على جواد الطريق تأكل وتسير، فبينما معاذ على أثر رسول الله ﷺ وناقته تأكل مرة وتسير أخرى عثرت ناقه معاذ فكبحها بالزمام فهبت حتى نفرت منها ناقه رسول الله ﷺ، ثم إن الرسول كشف عنه قناعه فإذا ليس من الجيش رجل أدنى إليه من معاذ، فناداه رسول الله فقال: «يا معاذ»، قال لبيك يا نبي الله.

قال: «أذنُ دونك»، فدنا منه حتى لصقت راحلتهما إحداهما بالأخرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنتُ أحسب الناس منّا كمكانكم من البُعد»، فقال معاذ: يا نبي الله، نعى الناس فتفرقت بهم ركابهم ترتع وتسير، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا كنت ناعساً» فلما رأى معاذ بشري رسول الله ﷺ إليه وخلوته له قال: يا رسول الله، ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني، فقال: «سَلَنِي عَمَّا شِئْتَ»، قال: يا نبي الله، حدّثني بعملٍ يُدخلني الجنة لا أسألك عن شيءٍ غيرها، فقال الرسول ﷺ: «بخ بخ، لقد سألتَ بعظيم، وإنه ليسيرٌ على من أراد الله به الخير: تُؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتعبد الله وحده لا تُشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك».

ثم قال صلوات الله عليه: «إن شئتَ حدّثتك يا معاذ برأس هذا الأمر، وقوام هذا الأمر، وذروة السنام»، فقال معاذ: بلى بأبي وأمي أنت يا نبي الله فحدّثني.

فقال ﷺ: «إن رأس هذا الأمر: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإن قوام هذا الأمر: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وإن ذروة السنام منه: الجهاد في سبيل الله ، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فإن فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»^(١).

أجل يا رسول الله يا أعظم من ربّي صحابته!.

أتى بصراطٍ مستقيمٍ من الهدى	له نبأٌ بادي البيان لباحثٍ
فصادفُ عمياً يعمهون ، قلوبهم	من الغيِّ غُلْفٌ تابعي كُلِّ عاثٍ
فأخرجهم من ظلمة الجهل نوره	وأنقذهم من موبقات الهناهِثِ
وأضحتُ شمسُ الحق مشرقة السنا	قد اتّضحت آثارها للمباحثِ

* * *

(١) مسند الإمام أحمد: ٥/٢٤٥ ، مجمع الزوائد للهيتمي: ٥/٢٧٢ .